

أمريكا وروسيا

على مفترق طُرق في الملف السوري



📍 syria

مقال
يمان دابقي



barq
New idea..New life



barq-rs.com



fb.com/barqrs



info@barq-rs.com



twitter.com/barq_rs



00905373505576

00902125508748



Akşemsettin, Fevzi Paşa.Cd
No:33,34080 Fatih/İstanbul

أمريكا وروسيا على مفترق طُرق في الملف السوري

المتابع لتطور الأحداث في سوريا منذ وصول الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" لإدارة البيت الأبيض في ٢٠ / ١ / ٢٠١٧ يلحظ أن تحولاً قد طرأ على الاستراتيجية الأمريكية في الملف السوري. إذ أن تغييراً بدأ واضحاً بالانتقال من حالة ستاتيكية جامدة إلى ديناميكية متحركة في شكل تطوير البرامج والأساليب مع ثبات في الأهداف.

فيما يهمننا من هذه الورقة تتبّع صيرورة التغيير لسياسة ترامب السورية ومدى تقاطعها مع سياسية موسكو في سوريا العلاقات بين روسيا وأمريكا في الملف السوري دخلت منعطفاً جديداً مغايراً للمناخ الهادئ الذي شهدناه إبان فترة الرئيس السابق أوباما، فبعد صفقة الكيمائوي في آب أغسطس ٢٠١٣ بو ساطة روسية انتهج أوباما سياسة الاستدارة للخلف أمام ملفات الشرق الأوسط وانتهج سياسة النأي بالنفس واحتواء وإدارة المشكلات كأسلوب أبداع به، مكتفياً بالإرث الشخصي بإنتاج صفقة الاتفاق النووي مع إيران ٢٠١٥.

بوتين لم ينسَ طموحه بتحقيق عودة قوية لروسيا عبر بوابة الشرق الأوسط فمنذ استلامه الحكم في ٢٠٠٠ وهو يعمل على عرقلة السياسات الأمريكية، مستغلاً بشكل كبير فراغ الإدارة الأمريكية بمراحلها الانتقالية، ونجح بوتين بشكل كبير في وضع موضع قدم في المياه الدافئة في البحر المتوسط واستثمر في سوريا على مدى سنوات من عمر الصراع مشاريع كبيرة في مجال الطاقة والغاز في الساحل السوري، وعزز قواعد عسكرية في طرطوس وحمايميم وتدمر، وامتلك زمام القرار السوري، نيابةً عن رأس النظام في دمشق.

الاستراتيجية الروسية الأمريكية الأخيرة في الملف السوري:

الأحداث المتسارعة في سوريا خيم عليها توتر وتصعيد جدلي عقب وصول الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى سدة الحكم في البيت الأبيض نهاية العام المنصرم ٢٠١٦. وهو أمر طبيعي متعارف عليه في العلاقات الدولية بين الدول أن تراجع وتقيم مستقبل العلاقات المشتركة والمصالح السياسية والاقتصادية مع دولة تتحكم بالعالم كالولايات المتحدة الأمريكية. في خضم العلاقات بين روسيا وأمريكا لا تزال العديد من القضايا والملفات عالقة بين الدولتين، فحتى الآن لم تتبلور اتفاقيات واضحة بما يتعلق بمشكلة الدرع الصاروخي وأوكرانيا والقوقاز وملفات أخرى متعلقة بالاقتصاد ومشاريع الطاقة وجميع هذه القضايا تناقش من بوابة سوريا. تبقى هذه المسائل الخلافية محض اهتمام إلى جانب الملف السوري وليست بمعزل عنه، فقد أدى تداخل المصالح وتقاطعها إلى تحول الصراع في سوريا إلى صراع دولي. كل الأطراف تسعى جاهدة إلى ترتيب وضع جديد لها بعد إدراكها أن ثمة نظام عالمي جديد قيد التدوير، تسعى أمريكا وإسرائيل لفرضه من بوابة الشرق الأوسط.

على مدار ست سنوات من الصراع الإقليمي في سوريا يبقى اللاعبان الروسي والأمريكي هما الأبرز في الساحة السورية، لذا فإن كل المحاولات للحل السياسي السوري عبر عقد سلسلة جولات من جنيف ١ / ٢٠١٢ إلى جنيف ٥ / ٢٠١٧ لم تؤت أكلها لعدم نضوج تفاهمات في المصالح المتداخلة والمشاركة في سوريا، كما أن تعدد الأطراف المنخرطة في سوريا زاد من تعقد المشهد الحالي، والصعوبة الآن تكمن حول كيفية الوصول إلى تفاهم دولي لحل سياسي يفضي إلى تحقيق توازن في قسمة سوريا إلى مناطق نفوذ ووضعها تحت وصاية دولية.

ترسخ في أذهان الدولتين قناعة مفادها أن لا حل عسكري في سوريا، ولا مواجهة مباشرة ولا سبيل للخلاص من الواقع المعقد إلا بتعاون مشترك، وقد نجحت روسيا في تكريس هذه النتيجة من خلال عقد عدة جولات من أستانة واحد واثنين وثلاثة وانتزعت من بعض الفصائل اعترافاً بذلك.

أمريكا وروسيا احتدام الصراع في سوريا:

ثمة غموض كبير حول الاستراتيجية الجديدة لإدارة ترامب في الملف السوري فما ظهر من تصريحات للبيت الأبيض على مدى شهرين ما ضيبن يشير أنه إلى الآن لا تمتلك إدارة ترامب استراتيجية واضحة للملف السوري، فيما نكتفي هنا بتسليط الضوء على ما نتج من ردة فعل ترامب في السابع من نيسان ٢٠١٧، التي كانت مؤشراً أولياً لتبيان الاستراتيجية الأمريكية تجاه سوريا.

أسهمت الضربة الأمريكية على قاعدة الشعيرات في ريف حمص الشرقي فرصة ذهبية للرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" في أن يقوم بعملية تقييم شاملة لسياسته الداخلية والخارجية لإعادة ترتيب الأوراق وربما حسمها في سوريا بما يتناسب مع المصلحة الأمريكية - الإسرائيلية.

رسائل بالجملة أوصلها ترامب لروسيا ولعل أبرزها عدم التزامها بدور الضامن والوسيط لنزع الأسلحة الكيماوية من يد الأسد في اتفاقية ٢٠١٣، وبعد مباركة إسرائيلية للغارة الأمريكية اتضح جلياً أنه لا بد من معاقبة الأسد لعدم تكراره استخدام السلاح المحرم دولياً، مع الأخذ هنا بعين الاعتبار أن التحرك الأمريكي لم يكن نابعاً من تأثر ترامب بـ صور أطفال خان شيخون كما روج لها الإعلام الغربي، فالسوريون يقتلون منذ ست سنوات وبمختلف أنواع الأسلحة دون أن يحرك ذلك مشاعر أمريكا، فمن الواضح أن سبب التحرك هو بسبب اكتشاف واشطن الخديعة بصفقة الكيماوي في عدم تسليم النظام كامل مخزونه من الأسلحة الكيماوية.

تسارعت الأحداث بعد ترجمة السلوك الأمريكي وتحشدت دول المعسكر الغربي، ودول أوروبا للضغط على روسيا للتخلي عن الأسد، فيما بدت روسيا بوضع حرج بعد فشلها بفكرة مجزرة الكيماوي، فتعددت روايتها حول السبب والمسبب وتناقضت بنفس الوقت مع سيناريوهات النظام، وعلى الرغم من كل الدلائل التي أثبتت ضلوع روسيا بالمجزرة من قبل وكالة الاستخبارات الأمريكية ولجان التحقيق الكيماوي البريطانية وتركيا وفرنسا، أصدر بوتين على مواقفه برفضه لكل تلك الإثباتات مكتفياً برفع فيتو ثامن في جلسة لمجلس الأمن معطلاً قراراً يفضي إلى إجراء تحقيق كامل حول واقعة خان شيخون، وفتح كامل مطارات النظام أمام اللجان الدولية وكشف ملفات الطلعات الجوية ومعرفة أسماء الطيارين، ولأن الطلعات قد خرجت من مطار الشعيرات المعروف أنه تحت السيطرة الروسية امتنعت موسكو عن قبول أي خطوة قد تتسبب في كشف تورطها بهذه الفاجعة.

بعد جلسة مجلس الأمن اتجهت العيون إلى موسكو مع وصول وزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون للقاء نظيره الروسي سيرغي لافروف في الثاني عشر من نيسان الجاري ٢٠١٧، ويعتبر هذا اللقاء هو الأول من نوعه في عهد تيلرسون، ومن المتوقع وبحسب ما تم تسريبه أن المناطق الآمنة وحظر الطيران سيكونان محور الاجتماع، يبدأ أن ما جاء في المؤتمر الصحفي عكس بالمدى القريب تفاهات بين الطرفين أهمها استمرار العلاقات وقنوات الاتصال والمضي قدماً في محاربة الإرهاب والاستعداد لمرحلة جديدة في سوريا يكون عنوانها البدء في تهيئة الأجواء السياسية لرحيل الأسد، وهذا ما أكد عليه تيلرسون بعد نهاية اللقاء بقوله إن حكم عائلة الأسد شارف على الانتهاء. وبعد يوم واحد في الثالث عشر من نيسان ٢٠١٧ أثنى ترامب بإيجابية على اللقاء الحاصل بين الوزراء وأضاف أن الوقت قد حان لنهاية عائلة الأسد وبدأوا ضحاً أن اتفاقاً سرياً قد جرى بعد اللقاءات أُرِضت الرئيس بوتين، واتسمت دلائل الرضى ما جاء بآخر كلمة للوزير تيلرسون مجيباً على سؤال أحد الصحفيين بأن لا دلائل حقيقة على تورط موسكو بمجزرة خان شيخون، المزيد من الرضى ناله بوتين وكأنه حقق نوعاً من الانتصار صغير هو عدم تصويت دول أوروبا على مشروع قرار لفرض عقوبات على روسيا.

بالعودة إلى الموقف الأمريكي

قُبيل توجيه الضربة الأمريكية إلى قاعدة الشعيرات في ريف حمص، لم تكن استراتيجية ترامب تلقي بالأعلى ما يفعله الأسد من مجازر يرتكبها بحق شعبه. ترامب صرح علانية في حملته الانتخابية نهاية العام ٢٠١٦ أن محاربة الإرهاب هي الأولوية الأولى له، في الإشارة إلى إلقاء اللوم على سلفه أوباما الم سبب الأول لإنتاج داعش والمنظمات الإرهابية المنتشرة في ليبيا و سوريا والعراق واليمن ومؤخراً في مصر. بيد أن تنامي التنظيمات الرديكالية بات يهدد بشكل أو بآخر الأمن الداخلي الأمريكي إلى جانب صعود اليمين المتطرف في دول أوروبا.

داخلياً كان ترامب يضع نصب عينيه تحقيق هدف واحد لا غير هو عودة الهيئة الأمريكية التي خسرتها أمريكا منذ اجتياحها العراق في ٢٠٠٣ وصولاً إلى فترة الرئيس الراحل أوباما. فيما المهمة الكبرى التي تقع على عاتق ترامب متعلقة بالسياسة الخارجية وهدفها المعلن، القليل من الأقوال والكثير من الأفعال لإيصال رسالة للدول الإقليمية أن زمن أوباما انتهى ولا بد من اليوم فصاعداً ملء الفراغ الذي استفادت منه روسيا في بسط نفوذها بشكل منفرد في المياه الدافئة على البحر المتوسط، وإحكام قبضتها على كامل القرارات في نظام الحكم في دمشق.

ترامب يسير بخطى واضحة وما كان مسموحاً به في زمن أوباما انتهى اليوم وعلى إيران ومليشيات حزب الله أن تخرج من سوريا بحسب ما صرح البيت الأبيض ١٣ نيسان الحالي.

وفي الحديث عن الإدارة الكلية للسياسة الأمريكية الخارجية يمكن التذكير بالأولويات الأمريكية لترامب فبعد دخوله للبيت الأبيض جعل الأولوية الأولى له، محاربة الإرهاب المتمثل بتنظيمي الدولة داعش وهيئة تحرير الشام النصر سابقاً، ولجم الدور الإيراني في المنطقة دون جعل إزاحة الأسد في سلم الأولويات الأمريكية. واتضح هذا الكلام

شيئاً فشيئاً بعد تفجير قنبلة من العيار الثقيل على لسان سفيرة الأمم المتحدة نيكي هايلي في السادس من نيسان الجاري أمام جمع غفير من الصحفيين حيث قالت إن سيا سية الولايات المتحدة في سوريا لم تعد تركز على إزاحة الأسد، إلا أنها سرعان ما أعادت صياغة كلامها بعد موجة من الانتقادات التي وجهت من قبل فرنسا وبريطانيا. تراخي الإدارة الأمريكية في عدم التطرق لم صير الأسد كان بمثابة الضوء الأخر لنظام الأسد الذي أقدم على ارتكاب خطيئة كبرى، ولو أنها كانت من تحريض حلفائه لاختبار أولي لسياسية ترامب.

صفقة الممكن والمستحيل بين ترامب وبوتين

جميع السيناريوهات مفتوحة في سوريا فبعد التدخل الأمريكي المبا شر في سوريا في شمال شرق سوريا وبسط نفوذها بها وتهيئة الأجواء في المنطقة الجنوبية لدخول قوات عربية أردنية لتثبيت وإدارة المنطقة، وقرع طبول معركة تحرير الرقة، يبقى السيناريو الأقرب بين القطبين اتمام صفقة سيا سية في سوريا، إلا أنها أشبه بصفقة ممكنة ومستحيلة، إذا ما تم ربط الملف السوري ببقية الملفات العالقة بين البلدين، فكلاهما يقرب نهاية عائلة الأسد من الحكم وكلاهما متفق على محاربة الإرهاب، وكلاهما متفهم لم صالح الآخر، أما المع ضلة فتكمن في البند الجديد الذي أضافه ترامب ويتعلق ليس بخروج إيران وحزب الله من سوريا من سوريا بل بو ضع حدود لهذا النفوذ ضمن سوريا، وهي نقطة خلاف مع موسكو التي لا ترغب بخسارة هذا الحليف، ليس لسبب ضعف في الخيار العسكري وإنما لسبب سيا سي واقتصادي أكثر منه عسكري، وما تصدر من حديث بين تيلر سون وبوتين قيل أنهما طرحا بند النفوذ الإيراني في خلق تفاهات تسمح بتأمين فقط ممرات إيرانية في سوريا وصولاً إلى لبنان دون المساس بمصاحبة إسرائيل، وما تنفيذ اتفاقية المدن الأربع في ١٥ من نيسان ٢٠١٧ إلا خطوة تمهيدية في هذا الاتجاه، والمستفيد الأكبر هو حزب الله الذي أحكم قبضته على الشريط الحدودي مع سوريا.

واستكمالاً للصفقة الصعبة التي يتخللها نقطة خلافية أخرى متعلقة بحاجة موسكو لضمات أمريكية غير متوفرة بشكل كامل، وربما يعود السبب لعدم وجود عامل الثقة الباعث لمصدر الخوف من استثمار كل طرف للآخر لاستنزافه في سوريا، إلا أن هذه الهواجس متزايدة بهذه المرحلة عند بوتين فهو المتخوف على م صالحه وليس ترامب المبادر لعرض هذه الصفقة من منطلق قوة غير آبه إن قبل بوتين أو لم يقبل، فالعرض فحواه تأمين خروج لائق لروسيا من المستنقع السوري مقابل ضمان حفظ مصالحها في سوريا، أو الغرق مع آل الأسد في البحر السوري إلى عشرات السنين وتكرار التجربة الأفغانية أو الصومالية.

وهي ما تبدو خيارات محدودة للرجل الشمولي الذي لا يريد أن يلمح مجرد تلميح أمام الغرب أنه يرغب بالخروج من سوريا، وبذات الوقت أصبح أمام مرحلة مواجهة مباشرة وعليه الاختيار إما التخلي عن الأسد والقبول بعرض ترامب أو المزيد من الانتحار في سوريا ولن يضر إدارة ترامب إذا ما تم هذا الاختيار، فالخبراء العسكريون المحيطون بترامب لديهم خطط منفردة في سوريا، باستمرار حربهم على داعش وتأمين المنطقة الجنوبية بذراع بريطاني وتحصين المنطقة الشمالية بذراع تركي، واستهداف الأسد بمزيد من الضربات تؤثر سلباً على موسكو وتزيد من عزلة الدولية أمام الرأي العام.

خلاصة القول: تبقى هذه الصفقة قيد التدقيق والنقاش ريثما يظهر وضح أكثر في النقاط الخلافية وعلينا أن لا ننسى أن الـسياسة لا تحمل ثوابت وما يتم الاتفاق عليه اليوم قد يتم نسيه غداً ومن الـسهل القول: إن روسيا ستتخلى عن الأسد. ولكن من الصعب القول: إن روسيا ستخسر مصالحها في سوريا، وسط غياب الضامن والراعي لها، ويبقى الرهان على الشعب السوري أن يعد العدة في توحيد الصفوف للنهوض بـسوريا من تحت الركام فهو مقبل على مرحلة جديدة سواء تمت الصفقة أم لم تتم.

جميع الحقوق محفوظة لدى مركز برق للأبحاث والدراسات © ٢٠١٧

"الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز برق للأبحاث والدراسات"